نقد الأديب

بقلم الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٠٥ — أشيب

ابن سنبر الروزني (علي بن أبي علي):

كفى الشيب عيباً أن صاحبه إذا ... أردت له وصفاً به قلت: أشيب

وكان قياس الأصل (إن قست) شائباً

ولكنه في جملة العيب يحسب[1]

٤٠٦ — لقد طال وجدي بعدها وحنيني

حكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي أن أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سَلَك[2] القالي[3] الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط باسمها أبي الحسن القالي وهي:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار، عليهم تستهل شؤوني

فقلت — ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين:

«وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين»

٤٠٧ — وأخرى تداويت منها بها

في (العقد): قال هرون بن داود: شرب رجل عند بخار

(١) معنى تفرد به، يعني أن مصاب خلاف الإنسان في كلام العرب يجيء أكثرها على أفعل (كثمة البنية) شاب يشيب شيباً وهو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت يكون من باب فعل (كفرح) يفعل (كيفرح) وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان. ولا تقل له: لا يقال امرأة شيباء، إنما كثروا بالصفاء من الشيباء، وقد يقال شاب رأسها (اللسان، التاج)

(٢) سلك: بفتح السين وتشديد اللام وفتحها هكذا وجدته مقيداً ورأيت في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام (ابن خلكان)

(٣) نسبة إلى قالي قلا بلدة من بلاد خوزستان ينسب إليها أبو الحسن علي بن أحمد ابن علي بن سلك القالي المؤدب سمع بالبصرة من القاضي أبي عمرو أحمد بن إسحق وحدث بمصر بسير (معجم البلدان)

نصراني فأصبح ميتاً، فاجتمع عليه الناس وقالوا للبخار: أنت قتلته

قال: لا والله، ولكن قتله استهانه قوله:

وأخرى تداويتُ منها بها[1]

٤٠٨ — أنا خير البرية

في (العلة) لابن بَشكُوال[2]: كان (القاضي) أبو عمران الفاسيّ بالقيروان، فقال رجل: أنا خير البرية! فطُلِب[3]، وهمت به العامة. فحمل إلى الشيخ أبي عمران، فسكّن العامة ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال. فقال له: أأنت مؤمن؟

قال: نعم.

قال: تصوم وتصلي، وتفعل الخير؟

قال: نعم.

قال: اذهب بسلام. قال الله (تعالى):

(إن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، أولئك هم خير البرية)[4]

فانفض الناس عنه.

٤٠٩ — حور الجنان على مثالك

أبو العتاهية:

إن المليك رآك أحسن (م) خلقه ... ورأى جمالك

فإذا بقدرة نفسه ... حور الجنان على مثالك

٤١٠ — الشيخ بعد ثلاث إبليس

قال مخارق بن يحيى: رأيتُ وأنا حدث كأن شيخاً جالساً على سرير في روضة حسنة فدعاني فقال لي: غنّني يا مخارق، فقلت: أصوناً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر، فغنيته:

دعي القلب لا يزدد خبالاً مع الذي ... به منك أو داوي جواه الذي بكما

وليس بتزويق اللسان وصوغه ... ولكنه قد خالط اللحم والدما

(١) الأعشى، وصدره: وكأس شربت على لذة

(٢) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال. كتاب (الصلة) طبع في الغرب منذ مدة بعيدة

(٣) ليه تليبا: جمع ثيابه التي عليه متدثره وصدره ثم جره وكذلك إذا جعل في عنقه حبالا أو ثوبا وأمسكه به (اللسان، التاج)

(٤) البرية مما استمر الاستعمال على تغليبه وترك الأصل (الكشاف).

فقال لى : أحسنت يا مخارق . ثم أخذ وتراً من أوتار العود فضمه على المضراب ودفعه إلى ، فجعل المضراب يمر ويتقعد والوتر ينتشر ويمرض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة عليه ، وصار فى يدى عصاً ، ثم نبهت فحدثت رؤياى[1] لإبرهيم الموصلى فقال لى : الشيخ بلا شك إبليس ، وقد عقد لك لواء صنعتك ، فأنت ما حييت رئيس أهلها

٤١١ — ما شهرت غير مخارق

فى (الغيث المنسجم) : قال العلامة شمس الدين محمد بن إبرهيم ابن ساعد الأنصارى : حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآبكى شيخ خانقاه[1] (سعيد السعداء[2]) عند الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد[3] (رحمه الله) وأخذ يتكلم فى طريقهم وأحوالهم ، ويتحدث على[4] العرفون زماناً والشيخ تقى الدين ساكت لا يعرفه بكلمة . فلما قام من عندهم قال الشيخ تقى الدين للحاضرين : هل فيكم من فهم تراكيب كلامه ؟ فإنى ما فهمت غير مفرداته ...

(١) فى « الخطط » : الخانقاه بضمة يبنيها أهل الصلاح والخير والصوفية والنون مفتوحة معرب خانه كاه . فى « خطط المقريزى » : خانكاه فارسية معناه بيت . وفيل أصلها خونقاه أى موضع الذى يأكل فيه الملك والجوائك حدثت فى الاسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، وجعلت لمخلى الصوفية فيها سعادة الله .

(٢) فى « الخطط » : هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا داراً تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ نجيب ، ولقبه سعيد السعداء ، أحد الأستاذين المحنكين وخدام القصر متبق الخليفة المستنصر .

(٣) فى (طبقات السبكى) : شيخ الاسلام المجتهد المطلق ، إمام المتأخرين العالم المبعوث على رأس المائة .

(٤) المعروف حدثه الحديث وبه كما فى اللسان وغيره .

(١) أبو الفرج : أظن أن الشاعر الذى مدح مخارقا إنما عنى هذه الرؤيا بقوله :

لقد عقد الشيخ الذى فر آدما ... وأخرجه من جنة وحدائق
لراءى قنوت للقريض ولحنه ... وأقسم لا يعطيهما غير حاذق